بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جمهوريـــة العراق
وزارة التعليم العالي
والبحـث العلمـــي

جامعـــة القادسية
كليــــة التربية
قســــم التاريخ



عمر المختار

بحث قدمته الطالبة (وهران طرفان كامل) لقسم التاريخ لنيل شهادة البكالوريوس في التاريخ .

إشراف

الدكتورة : حنان صاحب عبد

١٤٣٨ هـ ٢٠١٧ م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

((يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير))

صدق الله العلي العظيم

سورة المجادلة / الآية :١١

الإهداء

- إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب

- إلى من كلّت أنامله ليقدم ليّ لحظة سعادة

- إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد ليّ طريق العلم

- إلى القلب الكبير (والدي العزيز)

- إلى القلب الحنون .. إلى من ارضعتني الحب

- إلى رمز الحنان وبلسم الشفاء

- إلى القلب الناصع بالبياض

(والدتي الحبيبة)

- إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة

- إلى رياحين حياتي (اخوتي)

- إلى الارواح التي سكنت تحت تراب الوطن الحبيب

(الشهداء العظام)

- إلى الذين بذلوا كل جهد وعطاء لكي اصل الى هذه اللحظة

اساتذتي الكرام ولاسيما الدكتورة الفاضلة (حنان صاحب عبد)

الباحثة

الشكر والعرفان

- لا يسعني في هذا المقام إلا ان اتقدم بجزيل الشكر والعرفان الى الاستاذ المشرف على البحث : (الدكتورة حنان صاحب عبد) ، لما بذلته من جهد معي في اتمام هذا البحث المتواضع ، سائلين العلي القدير ان يمن عليها بالصحة والأمان.

كما اتقدم بالشكر والعرفان الى اساتذة قسم التاريخ جميعا.

وشكري الخالص الى موظفي المكتبة المركزية ومكتبة كلية التربية.

والشكر موصول لكل الايادي البيضاء التي مدت لي العون في اتمام هذا البحث المتواضع.

الباحثة

المحتويات


المقدمة

المقدمة

هو عمر بن المختار بن عمر من بيت فرحات من قبيلة بريدان وهي بطن من قبيلة المنفة ينتسب عمر المختار إلى قبيلة المنفه الامازيغية إحدى كبريات قبائل المرابطين ببرقة، ولد عام ١٨٦٢م في قرية جنزور بمنطقة دفنة في الجهات الشرقية من برقة التي تقع شرقي ليبيا على الحدود المصرية، تربى يتيما حيث وافت المنية والده مختار بن عمر وهو في طريقه إلى مكة المكرمة بصحبة زوجته عائشة.

تلقى عمر المختار تعليمه الأول في زاوية جنزور، ثم سافر إلى الجغبوب ليمكث فيها ثمانية أعوام للدراسة والتحصيل على كبار علماء ومشايخ السنوسية في مقدمتهم الإمام السيد المهدي السنوسي قطب الحركة السنوسية، فدرس اللغة العربية والعلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ولكنه لم يكمل تعليمه كما تمنى، ظهرت عليه علامات النجابة ورزانة العقل، فاستحوذ على اهتمام ورعاية أستاذه السيد المهدي السنوسى مما زاده رفعة وسمو، فتناولته الألسن بالثناء بين العلماء ومشايخ القبائل وأعيان المدن حتى قال فيه السيد المهدي واصفاً إياه: " لو كان عندنا عشرة مثل عمر المختار لاكتفينا بهم."

وقد استقر المختار فترة من الزمن في قرو مناضلاً ومقاتلاً، ثم عين شيخاً لزاوية (عين كلك) ليقضي فترة من حياته معلماً ومبشراً بالإسلام في تلك الأصقاع النائية، وبعد وفاة السيد محمد المهدي السنوسي عام ١٩٠٢م تم استدعاؤه حيث عين شيخاً لزاوية القصور.

عاش عمر المختار حرب التحرير و الجهاد منذ بدايتها يوماً بيوم، فعندما أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا (الدولة العثمانية) في ٢٩ سبتمبر ١٩١١م، وبدأت البارجات الحربية بصب قذائفها على مدن الساحل الليبي (درنة وطرابلس ثم طبرق وبنغازي والخمس) فعندها علم بالغزو الإيطالي فيما عرف بالحرب العثمانية الإيطالية سارع إلى مراكز تجمع المجاهدين حيث ساهم في تأسيس دور بنينه وتنظيم حركة الجهاد والمقاومة.

وقد شهدت الفترة التي أعقبت انسحاب الأتراك من ليبيا سنة ١٩١٢م أعظم المعارك في تاريخ الجهاد الليبي، منها على سبيل المثال معركة يوم الجمعة عند درنة في ١٦ مايو ١٩١٣م حيث قتل فيها للأيطاليين عشرة ضباط وستين جنديا وأربعمائة فرد بين جريح ومفقود إلى جانب انسحاب الإيطاليين بلا نظام تاركين أسلحتهم ومؤنهم وذخائرهم، ومعركة بو شمال عن عين ماره في ٦ أكتوبر ١٩١٣،وعشرات المعارك الأخرى.

وقد جاءت هذه الدراسة حول شخصية عمر المختار بثلاث مباحث تناول المبحث الاول مولده ونشأته واهم الاحداق التي مرت في حياته الاجتماعية والجهادية ،فيما تناول المبحث الثاني الحياة السياسية والجهادية لعمر المختار وقد تناولها بشيء من التفصيل ، واخيراً جاء المبحث الثالث بعنوان الأيام الأخيرة من حياة المختار ووقوعه في الأسر ثم اعدامه وتناولنا فيه خاتمة حياة هذا الشيخ الجليل ، ثم تبع المباحث خاتمة ثم مجموعة من المصادر وفي الختام نسأل الله تعاى الكمال فأننا قاصرين مقصرين واشكر كل من ساعدني ووجهني في كتابة هذه السطور.

والله ولي التوفيق



نشأته و أعماله

المبحث الأول

نشأته وأعماله

اولاً: مولده ونسبه ونشأته

هو عمر المختار محمد فرحات ابريدان محمد مؤمن بوهديمه عبد الله – علم مناف بن محسن بن حسن بن عكرمه بن الوتاج بن سفيان بن خالد بن الجوشاني بن طاهر بن الأرقع بن سعيد بن عويده بن الجارح بن خافي (الموصوف بالعروه) بن هشام بن مناف الكبير. من بيت فرحات من قبيلة بريدان وهي بطن من قبيلة المنفة أو المنيف والتي ترجع إلى عبد مناف بن هلال بن عامر أولى القبائل الهلالية التي دخلت برقة. أمه هي عائشة بنت محارب.(١)

زعيم ليبي ، نسبه الى قبيلة منف ببرقة ولد بها عام ١٨٥٨ ، ودرس العلوم الاسلامية بزاوية جغبوب ولاه المهدي الادريسي شيخا على زاوية القصور (بالقرب من المرج من الجبل الأخضر ببرقة) وفي عام ١٩١١ بدأ مفرقة حياته مع الاستعمار الايطالي منذ ان استولى على طبرق وبنغازي ودرنة من بلاد برقة ، بعد انسحاب تركيا من المعركة ثم انسحاب السنوسين ووقوع الخوف بين زعماء طرابلس وبرقة عام ١٩٢١ كان عمر المختار في طليعة الوطنيين للجهاد ضد الايطاليين .(٢)

وُلد عمر المختار في البطنان ببرقة في الجبل الأخضر عام ١٨٦٢، وقيل عام ١٨٥٨،وكفله أبوه وعني بتربيته تربيةً إسلاميَّة حميدة مستمدة من تعاليم الحركة السنوسية القائمة على القرآن والسنَّة النبويَّة .ولم يُعايش عمر المختار والده طويلًا.(٣)

١- علي محمد الصلابي ، الشيخ الجليل عمر المختار (نشأته ، وأعماله ، واستشهاده) ط٢ ، المكتبة العصرية ، (صيدا ١٩٦٧) ، ص١٥ .

٢- احمد عطية الله ، القاموس السياسي ، د.ت ، ص٨١٨ .

٣- نجيب زبيب ، تراجم العظماء ، دار الأبداع للطباعة ، (بيروت ١٩٩٠) ، ص٢٥ .

توفي والده في رحلته إلى مكة لأداء فريضة الحج، فعهد وهو في حالة المرض إلى رفيقه السيد أحمد الغرياني وشقيق شيخ زاوية جنزور الواقعة شرق طبرق ، بأن يبلغ شقيقه بأنه عهد إليه بتربية ولديه عمر ومحمد، وتولى الشيخ حسين الغرياني رعايتهما محققاً رغبة والدهما، فأدخلهما مدرسة القرآن الكريم بالزاوية، ثم الحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الأخوان والقبائل الأخرى.[١]

لقد ذاق عمر المختار (رحمه الله) مرارة اليتم في صغره، فكان هذا من الخير الذي أصاب قلبه الملئ بالإيمان وحب الله ورسوله (ﷺ) حيث التجأ إلى الله القوي العزيز في أموره كلها، وظهر منه نبوغ منذ صباه مما جعل شيوخه يهتمون به في معهد الجغبوب الذي كان منارة للعلم، وملتقى للعلماء، والفقهاء والأدباء الذين كانوا يشرفون على تربية وتعليم وإعداد المتفوقين من أبناء المسلمين ليعدوهم لحمل الرسالة الإسلامية الخالدة، ثم يرسلوهم بعد سنين عديدة من العلم والتلقي والتربية إلى مواطن القبائل في ليبيا وافريقيا لتعليم الناس وتربيتهم على مبادئ الإسلام وتعاليمه الرفيعة ومكث في معهد الجغبوب ثمانية أعوام بمنهل من العلوم الشرعية المتنوعة كالفقه، والحديث ومن أشهر الذين تتلمذ على أيديهم، السيد الزروالي المغربي، والسيد الجواني .[٢]

١- محمد الطيب بن ادريس الاشهب ، عمر المختار ، ١٩٥٨ ، القاهرة ، ص٢٦

٢- المصدر نفسه ، ص٢٦.

و العلامة فالح بن محمد بن عبدالله الظاهري المدني وغيرهم كثير، وشهدوا له بالنباهة ورجاحة العقل، ومتانة الخلق، وحب الدعوة، وكان يقوم بما عليه من واجبات وكان مخلصاً في عمله متفانياً في أداء ماعليه ولم يعرف عنه زملاؤه أنه أجل عمل يومه إلى غده وهكذا اشتهر بالجدية والحزم والاستقامة والصبر، ولفتت شمائله أنظار أساتذته وزملائه وهو لم يزل يافعاً، وكان الأساتذة يبلغون الإمام محمد المهدي أخبار الطلبة وأخلاق كل واحد منهم، فأكبر السيد محمد المهدي في عمر المختار صفاته وما يتحلى به ، وأصبح على إلمام واسع بشئون البيئة التي تحيط به وعلى جانب كبير في الإدراك بأحوال الوسط الذي يعيش فيه وعلى معرفة واسعة بالأحداث القبلية وتاريخ وقائعها ، وتعلم من البيئة التي نشأ فيها فض الخصومات وما يتطلبه الموقف من آراء ونظريات، كما أنه أصبح خبير بمسالك الصحراء وبالطرق التي كان يجتازها من برقة إلى مصر والسودان في الخارج وإلى الجغبوب والكفرة من الداخل، وكان يعرف أنواع النباتات وخصائصها على مختلف أنواعها في برقة، وكان على دراية بالأدواء التي تصيب الماشية ببرقة ومعرفة بطرق علاجها نتيجة للتجارب المتوارثة عند البدو وهي اختبارات مكتسبة عن طريق التجربة الطويلة، والملاحظة الدقيقة، وكان يعرف سمة كل قبيلة، وهي السمات التي توضع على الإبل والأغنام والأبقار لوضوح ملكيتها لأصحابها، فهذه المعلومات تدل على ذكاء عمر المختار وفطنته منذ شبابه.(١)

١- الاشهب ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

ثانياً : وصف عمر المختار:-

كان عمر المختار متوسط القامة يميل إلى الطول قليلاً، ولم يكن بالبدين الممتلئ أو النحيف الفارغ، أجش الصوت بدوي اللهجة، رصين المنطق، صريح العبارة، لايمل حديثه، متزن في كلامه، تفتر ثناياه أثناء الحديث عن ابتسامة بريئة، أو ضحكة هادئة إذا ما اقتضاها الموقف، كثيف اللحية التي أرسلها منذ صغره، تبدو عليه صفات الوقار والجدية في العمل، والتعقل في الكلام والثبات عند المبدأ وقد أخذت هذه الصفات تتقدم معه بتقدم السن .(١)

ثالثاً : تلاوته للقرآن الكريم وعبادته :-

كان عمر المختار شديد الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها وكان يقرأ القرآن يومياً، فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له الامام محمد المهدي النبوي (يا عمر وردك القرآن) وقصة ذلك ، أنه استأذن في الدخول على الامام محمد المهدي من حاجبه محمد حسن العسكري في موقع بئر السارة الواقع في الطريق الصحراوي بين الكفرة والسودان وعندما دخل على المهدي تناول مصحفاً كان بجانبه وناوله للمختار وقال : هل لك شيء آخر تريده فقلت له ياسيدي أن الكثيرين من الأخوان يقرأون أوراداً معينة من الأدعية والتضرعات أجزتوهم قراءتها وأنا لا أقرأ إلا الأوراد الخفيفة عقب الصلوات فأطلب منكم اجازتي بما ترون فأجابني (ص) بقوله: (يا عمر وردك القرآن) فقبلت يده وخرجت أحمل هذه الهدية العظيمة (المصحف) ولم أزل بفضل الله احتفظ بها في حلي وترحالي ولم يفارقني مصحف سيدي منذ ذلك اليوم وصرت مداوماً على القراءة فيه يومياً لأختم السلكة كل سبعة ايام.(٢)

١- الاشهب ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

٢- الاشهب . المصدر نفسه . ص٢٨- ص٢٩ .

وسمعت من شيخنا سيدي احمد الريفي أن بعض كبار الأولياء يداوم على طريقة قراءة القرآن مبتدئاً (بالفاتحة) الى (سورة المائدة) ثم الى (سورة يونس) ، ثم الى (سورة الاسراء) ثم الى (سورة الشعراء) ، ثم الى (سورة الصافات) ثم الى (سورة ق) ثم الى آخر السلكة ومنذ ذلك الحين وأنا أقرأ القرآن من المصحف الشريف بهذا الترتيب[١].

إن المحافظة على تلاوة القرآن والتعبد به تدل على قوة الايمان، وتعمقه بالنفس، الايمان العظيم الذي يتحلى به عمر المختار انبثق عنه صفات جميلة، كالامانة والشجاعة، والصدق، ومحاربة الظلم، والقهر، والخنوع وقد تحلى هذا الايمان في حرصه على أداء الصلوات في أوقاتها قال تعالى: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا) وكان يتعبد المولى عز وجل بتنفيذ أوامره ويسارع في تنفيذها وكان كثير التنفل في أوقات الفراغ، وكان قد ألزم نفسه بسنة الضحى وكان محافظاً على الوضوء حتى في غير أوقات الصلاة، ومما يروى عنه أنه قال: لا أعرف إنني قابلت أحداً من السادة النبوية وأنا على غير وضوء منذ شرفني الله بالانتساب إليهم.[٢] لقد كان هذا العبد الصالح يهتم بزاده الروحي اليومي بتلاوة القرآن الكريم، وقيام الليل واستمر معه هذا الحال حتى استشهاده.[٣]

فهذا المجاهد محمود الجهمي الذي حارب تحت قيادة عمر المختار وصاحبه كثيراً، يذكر في مذكراته أنه كان يأكل معه وينام معه في مكان واحد ويقول: (لم أشهد قط أنه نام لغاية الصباح، فكان ينام ساعتين او ثلاثاً على أكثر تقدير، ويبقى صاحياً يتلو القرآن الكريم ، و لقد كان على خلق عظيم يتميز بميزات التقوى و الورع ، ويتحلى بصفات المجاهدين الأبرار) .[٤]

١- الاشهب ، المصدر السابق ، ص٢٩ .

٢- الاشهب ، المصدر نفسه ، ص٢٩ .

٣- الاشهب ، المصدر نفسه ، ص٢٩ .

٤- الاشهب ، المصدر نفسه ، ص٣٠ .

أما الاستاذ محمد الطيب الاشهب فقد قال : (وقد عرفته معرفة طيبة وقد مكنتني هذ المصاحبة من الاحتكاك به مباشرة، فكنت أنام بخيمته والى جانبه وأهم ماكنت امقته منه رحمه الله وأنا وقت ذاك حديث السن هو أنه لايتركنا أن ننام إذ يقضي كل ليلة يتلو القرآن ويقوم مبكراً فيأمرنا بالوضوء بالرغم عما نلاقيه من شدة البرد ومتاعب السفر) .[١]

البيئة (القبيلة والنظام القبلي)

ينحدر عمر المختار من قبيلة المنفى او (المنيف) كما يقال عنها احياناً وهي احدى كبريات قبائل المرابطين ببرقة ، وتتفرع هذه القبيلة الى عدة افخاذ اشهرها (بريدان) وينقسم هذا الفخذ الى فروع منها (فرحان) الذي ينحدر منه السيد عمر المختار ، وتتخذ هذه القبيلة مطار بهما موقع دفنه من البطنان شرق برقة ، وكانت لها صولات وجولات ككل القبائل وقد عرفت بالشجاعة وعزة النفس واباء الظيم وحماية الزيل والدفاع عن حقوقها القبلية كما هو شان جل القبائل في ليبيا وكان المختار (والد عمر المختار) من رجالات القبيلة المرموقة في المجالات البدوية[٢] وكان يحسب حسابه عندما تحدث المشاكل القبلية ، وما اكثر المشاكل بين القبائل (المتناقل) في ليبيا يحدثنا عن مختلف المنازعات ، وعن تشعب الخصومات التي تؤدي في الكثير من الاحيان الى حروب طاحنة فهي لا تهدأ بين قلة واخرى الا لتقوم بين الطرفين اخريين نتيجة للدفاع عن موطن القبيلة ، او عن ابارالسقي او عن مرائع الماشية او عن اماكن الزرع او للأخذ بالثأر وما الى ذلك [٣]

١- الاشهب ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

٢- الاشهب ، المصدر نفسه ، ص٣٠ .

٣- الاشهب ، المصدر نفسه ، ص٣٠ .

زواج عمر المختار

تزوج عمر لأول مرة من نجوى بنت البروك بن سعيد بوزوير ثم تزوج بعد وفاتها للمرة الثانية من شقيقتها زينا وقد توفيت بعد استشهادها بالمهجر وتزوج للمرة الثالثة بونيه بنت السيد عبد الله الجبلاني شيخ زاوية فانجب منها عددا من البنين والبنات ماتوا صغارا ولم يعيش من اولادها الا ابنه السيد محمد صالح الذي لا يزال على قيد الحياة ويتمتع الان برعاية وعناية من ملك ليبيا المعظم ادريس الاول (حفظه الله) ثم تزوج للمرة الرابعة من كربة بنت الحاج محمد ابو فروة وطلقها وتزوج للمرة الخامسة من كريمة بنت صديقه وزميله في الجهاد القائد السنوسي السيد محمد بو نجوى الفحامي وقد لقيت وجه ربها شهيدة اثناء معركة المحيريقة مع الطليان اشتركت فيها الطائرات فأصيبت الشهيدة برصاص إحدى الطائرات ولم تنجب منه فتزوج للمرة السادسة بشقيقتها الصغرى وانجب منها بنتين لا تزالان على قيد الحياة. (١)

في ميدان العمل

انقطع السيد عمر المختار عن مواصلة التعليم ليدخل ميدان العمل لا لنفسه ولا من اجل قبيلته التي انسلخ عنها ولا ليخدم اهله ومصالحهم ولكنه ليعمل خالصا مخلصا من اجل المجموعة فالتحق بالنسب الجديد الذي عوضه نسب القبيلة ، انتسب للإخوان السنوسيين وكان هذا النسب الجديد يكسب صاحبه صفة العمومية بدلا من الخصوصية ويخرجه من الحصر الضيق ومن الصفة الخاصة التي تخضع لعادات البيئة المعينة وتخضع لتقاليد القبيلة ليجد نفسه في افق واسع لا يعرف الحدود لا يؤمن بالقيود فبدلا من ان يكون عمر المختار ابن للقبيلة او وقفا على التقاليد او ملكا للعادات او خاضعا للنزعات قطع ما بينه وبين كل ذلك ليوصل ما بينه وبين هدفه الاسمى بالانتساب الى الاخوان السنوسيين ، وهكذا اخذ ينظر الى قبيلته بنفس النظرة التي ينظر بها الى جميع القبائل الاخرى.(٢)

١- الاشهب ، المصدر السابق ، ص٣٢.

٢- الاشهب ، المصدر نفسه ، ص٣٥ .

علاقته بالسنوسيين

خلال السنوات التي قضاها عمر المختار في الجغبوب حيث كان يكمل دراسته، تمكَّن من اكتساب سمعةٍ حسنةٍ وقوية عند شيوخ الحركة السنوسية. وقد بلغت تلك السمعة من القوة أن قرَّر محمد المهدي السنوسي - ثاني زعماء السنوسية - أخذ عمر المختار معه سنة ١٨٩٥ برحلته من الجغبوب إلى الكفرة في جنوب شرق الصحراء الليبية، وبعد هذه الرحلة اصطحبه مرة أخرى في رحلة من الكفرة إلى منطقة قرو في غرب السودان، فاصطحب معه عمر المختار، وعيَّنه هناك شيخاً لزاوية عين كلك.[١]

ويروى أنه في الطريق إلى السودان وبينما كانت تعبر قافلته الصحراء أشار أحد المرافقين للقافلة إلى وجود أسد مفترس بالجوار، واقترح تقديم إحدى الإبل كفدية لاتّقاء شره، إلا أن عمر المختار رفض وقال: (إن الإتاوات التي كان يفرضها القوي منا على الضعيف قد أبطلت، فكيف يصحّ أن نعيدها لحيوان؟ والله إنها علامة ذلٍّ وهوان، والله إن خرج علينا لندفعه بسلاحنا) ، ثم خرج الأسد فذهب إليه وقتله، وسلخ جلده وعلَّقه لتراه القوافل الأخرى.[٢]

وبعد ذلك كل ما ذُكِرَت القصة كان يقول: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى). وقد مكث عمر المختار بالسودان سنواتٍ طويلة نائباً عن المهدي السنوسي، حتى بلغ من إعجاب السنوسي به أن أصبح يقول: (لو كان عندنا عشرة مثل عمر المختار لاكتفينا بهم).[٣]

وقد أدَّت علاقته الوثيقة بالسنوسيّين إلى اكتسابه لقب سيدي عمر الذي لم يكن يحظى به إلا شيوخ السنوسية المعروفين. عندما بدأ الاستعمار الفرنسي لتشاد في عام ١٩٠٠ واجه الفرنسيون الحركة السنوسية بالعداء وأخذوا يحاربونها، فجيَّشت الحركة نفسها ضد الفرنسيين بدورها، وكان عمر المختار ممَّن اختيروا لقيادة كتائب الحركة ضدَّهم، كما وقد شارك خلال ذلك بالدَّعوة في تشاد.[٤]

١- الطاهر احمد الزاوي ، عمر المختار الحلقة الاخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا ، دار الاسلام ،(بيروت ، ١٩٦٥) ، ص١٣

٢- المصدر نفسه ، ص٢٥

٣- نجيب زبيب ، المصدر السابق ، ص٤٠

٤- احمد عبد الله العزيزي ، عمر المختار قصة كفاح الشعب ، مركز الراية للنشر ، (دمشق ، ١٩٨٠)



الجهاد السياسي والمسلح لعمر المختار

في عام ١٩٢٧، غزت جموع الزوية الجخرة ومرسى بريقة وجالو وأوجلة، وأنزلوا بالطليان خسائر فادحة، واشتدت مقاومة المجاهدين في الجبل الأخضر على الرغم من احتلال الطليان للواحات ومراكز السنوسيَّة الهامَّة، فلم يعد هناك مناصٌ من أن يُعيد الطليان النظر في خططهم، مما أدى إلى وقوع أزمة كبيرة في روما، وبدأت الحكومة تبحث بصورة جديَّة وسائل إخماد المقاومة وترسم الخطط السياسية الجديدة التي ترأى ضرورة التقيّد بها في كل من برقة وطرابلس الغرب. عام ١٩٢٨، استقال كلٌّ من فيدرزوني وزير المستعمرات الإيطالي، وديبونو حاكم طرابلس الغرب، وتيروتزي حاكم برقة، فعُيِّن ديبونو وزيرًا للمستعمرات وأعلن موسوليني توحيد الإدارة في القطرين الليبيين، وعين المارشال بادوليو حاكمًا على طرابلس الغرب وبرقة. كان مجيء بادوليو الى ليبيا بداية مرحلة الجهاد الحاسمة بالنسبة للمجاهدين وكان تاريخ تعينهم فيشهر يناير ١٩٢٩ وكان برنامجهم الجديد تخفيض الجيش إلى القدر الذي يكفي للقيام بحرب العصابات، وحاول الحفاظ على هيبة الحكومة عبر إنفاقه الأموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الأخضر مما يسهل عليه التنقلات العسكريَّة، تمهيدًا للقيام بهجوم شامل كاسح على المجاهدين يقضي عليهم، ولمَّا كانت هذه الخطة تتطلَّب وقتًا، وتخوّفت الحكومة من اطلاع المختار عليها، سعت إيطاليا إلى مفاوضة عمر المختار لتهدئة الأحوال[١] فكان برنامج بادوليو مبنيا على كسب الوقت اولا ثم العمل رويدا رويدا من اجل تقوية المراكز المحتلة.

١- محمود شلبي ، حياة عمر المختار ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٨٢) ، ص١١٩

ان رحيل الامير ادريس السنوسي ، الزعيم الروحي للاتحاد وقائده الاعلى ، زاد الموقف سوءا في البلاد . ذلك ان رحيله المفاجئ وغير المفهوم الذي لا يزال مثار جدل المؤرخين ، رغم ادعائه سوء حالته الصحية مما ادى الى اضعاف عزيمة الشعب ودفع عددا من المحاربين اما مغادرة البلاد او الى الاستسلام للأيطاليين . غير ان الامير ادريس عين قبل رحيله اخاه ((الرضا)) نائبا عنه ، كما عين عمر المختار قائدا للقوات الوطنية في الجبل الأخضر.(١)

واستمرت المقاومة حتى عام ١٩٣١ ، بفضل قيادة عمر المختار وبفضل حرب العصابات الفعالة التي خاضها وطورها .

لقد قسم عمر المختار قواته الى ثلاث سرايا كبرى متحركة اسماها (الادوار) وعسكر في المناطق الجبلية في (جيرواس) وقد نجح في صد سلسلة الهجمات التي شنها الايطاليون ضده في صيف عام ١٩٢٣ ، كما كان قد تمكن من هزيمة وتشتيت جيش اخر ارسل للهجرة على معسكر في اذار عام ١٩٢٣.(٢)

١- موسى مخول ، موسوعة الحروب والازمات الاقليمية في القرن العشرين ، ط١ ٢٠٠٧ ، د.م ، ص١٢٨

٢- موسى مخول ، المصدر نفسه ، ص١٢٨

بعد وصول الفاشيين الحكم بزعامة موسوليني قام (فولبي) الحاكم الايطالي الجديد لولاية طرابلس بوضع حد لسياسته السابقة ، وفسخ كل الاتفاقيات التي وقعت خلال الحرب العالمية الاولى واعقب ذلك شن عدد من الحملات تهدف اعادة الفتح . فتحرك جيش كبير بقيادة الجنرال غيرازياني نجو (غريان) عاصمة ولاية طرابلس التي تم الاستيلاء عليها في السابع من تشرين الثاني عام ١٩٢٢ ، وهاجم جيش اخر (مسراته) واستولى عليها في العشرين من شباط عام ١٩٢٣ ، بينما كانت اللجنة المركزية الطرابلسية تمزقها الخلافات الداخلية والحرب الاهلية ، اضافة الى الشقاق بين العرب والبربر في الجبال الغربية. وهكذا لم تستطع هذه المنطقة بعثة القوة الكافية لصد الايطاليين وبالتالي فقد انهارت اللجنة المركزية وغادر اعضائها الى مصر والسودان وتونس يضاف الى ذلك الرحيل المفاجئ في ٢١ كانون الاول ١٩٢٢ للامير ادريس السنوسي الى مصر.[١]

وكانت ولاية طرابلس هي التي سقطت اولا ، وبحلول شهر حزيران عام ١٩٢٤ كانت كافة الاراضي الصالحة للزراعة قد احتلت ، لكن الايطاليين كانوا على بينة من ضعفهم طالما انهم لم يتحكموا بالصحراء وقد كان الوضع في الصحراء وفي الجبل الاخضر يختلف عن ذلك ، فان رجال القبائل منذ ايام العثمانيين لم يخضعوا في الواقع لاي سلطة ولم يدفعوا الضرائب المشخصة الا نادرا . وقد كان الولاء للبيت السنوسي على احشدة من رجال هذه القبائل ، وقد شنت حربها على الايطاليين باسم السنوسية . ولكن حربا تشنها القبائل ضد جيش منظم لايمكن ان تستمر مدة طويلة . لذلك فان الذي مكنها للجهاد ضد الايطاليين ان يستمر اكثر من تسع سنوات ، انما كانت حرب العصابات التي كان رجال القبائل قد اعتادوها.[٢]

١- موسى مخول ، المصدر السابق ، ص١٢٩

٢- موسى مخول ، المصدر نفسه ، ص١٢٩

كانت الاساليب العسكرية التي لجات اليها القوة القبلية (عمر المختار) في مهاجمة الايطاليين عجيبة ، فان انسحابها السريع مع ما كانت تستولي عليه من الاشياء لم يتح للأيطاليين الوقت الكافي للدفاع عن السكان الذين كانوا تحت سلطاتهم ، ولا هو اتاح لهم الفرصة لان يشتبكوا معه في معركة . والواقع انه عندما كان الفريقان يشتبكان في معركة كانت جماعة (عمر المختار) تصاب بالخسائر ، لكن اكثر المعارك كانت من نوع الهجوم الخاطف والمفاجئ . وكان (عمر المختار) ورجاله من القبائل اكثر حرية في التنقل ليلا ، بحيث اصبحت قوته (الحكومة الليبية) في البلاد ، فكانت تجمع الزكاة والتبرعات الاخرى من المواطنين .[١]

وكان الايطاليون على بينة من ضعفهم طالما انهم لم يتحكموا في الصحراء . فبدأو حملة طويلة للسيطرة على الصحراء ومن بعدها (فزان) ولكن الحملة لم تنجح وتم استخدام القصف الجوي والغازات السامة ، وقد صدت عدة محاولات ايطالية للتقدم . وظل الليبيون حتى اواخر عام ١٩٢٨ يحولون دون تقدم القوات الايطالية الرئيسية جنوب (سرت) ولكن بحلول نهاية عام ١٩٢٩ وبداية عام ١٩٣٠ سقطت (فزان) وانهارت المقاومة الليبية في الغرب والجنوب[٢]

في الوقت نفسه ، كانت المعارك مستمرة ، لقد انزلت خسائر كبيرة بالأيطاليين .

ولما فشل الايطاليون الفاشيون في قمع ثورة (عمر المختار) في برقة عن طريق الهجوم العسكري المباشر لجأوا الى :

١- اقامة سور من الاسلاك الشائكة طوله (٣٠٠) كيلو متر على امتداد الحدود الليبية

٢-احتلال واحات (حالو و جغبوب و الكفرة) كي يحاصروا المحاربين و يعزلوهم في برقة .

١- موسى مخول ، المصدر السابق ص ١٢٩

٢- موسى مخول ، المصدر نفسه ، ص ١٣٠

٣- اجلاء كل سكان للمناطق الريفية من برقة و ارسالهم الى صحراء (سرت) حيث ابقوهم في معسكرات اعتقال تحيط بها الاسلاك . و كان الهدف من هذه الخطوة الاخيرة حرمان (عمر المختار) من اية مساعدة محلية .

لم تستطيع المقاومة الليبية الصمود اكثر من ستة اشهر بعد (عمر المختار) و في الرابع و العشرين من كانون الثاني عام ١٩٣٢ اعلن الجنرال (باذ وليو) فتح ليبيا و احتلالها . اما من ناحية الاقتصادية فقد كان الاقتصاد الليبي في ظل الادارة العثمانية ما بين ١٨٠٨ و ١٩١١ في حالة ركود ، و اقتصرت الانشطة الاقتصادية على الزراعة و التجارة و بعض الصناعات اليدوية الصغيرة . و كان الانتاج الزراعي يعتمد الى حد كبير على الامطار التي كان يختلف معدلتها من موسم الى اخر . و في سهول (برقة و طرابلس) كان الاهالي يربون اعداد هائلة من الماشية يصدرون بعضها الى البلدان المجاورة . (١)

ثورة عمر المختار و في سنة ١٩٢٢ وصل الفاشيون الى الحكم في ايطاليا على راسهم موسوليني الذي كان يمني النفس باعادة الامبراطورية الرومانية الى امجادها السابقة . اتبع الايطاليون سياسية جديدة في ليبيا و اعتبروا السنوسية عدوة لدود اليهم . و في ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٢٣ احتل الوالي الايطالي اجداده معقل السنوسيين و الغى الاتفاقات المبرمة مع محمد ادريس فما كان من عمر المختار الى ان تراجع هو و جيشه نحو الجنوب . و توجه فيما بعد الى مصر تشاور مع محمد ادريس حول الخطوات التالية بما فيها ارسال المؤن و الدخائر [٢]

ارسلت ايطاليا الى ليبيا قوات مؤلفة من صوماليين وارتيريين مزودة بأشنع الاسلحة التدميرية كما احتلت ايطاليا ١٩٢٨ منطقة الفزان .

١- موسى مخول ، المصدر السابق ، ص١٣٢

٢- موسى محمد ال طربوش ، العالم المعاصر من حربين ، ط٢ ، بيروت ٢٠١٣ ، ص١٣١

و حاصرت برقة من الشرق و من الغرب بعد ان احتلت الجيغوب غير ان المقاومة لم تسلم السلاح ، بل ظلت محتفظة وبرباطة جاشها وعزيمتها على التغلب الايطالين . و عبر الدكتور احمد شلبي بوضوح عن هذه المرحلة المظلمة التي عاشتها ليبيا (فقد كانت الحرب تدميرا" و فناء ترسل الموت و دبابات تسحق القرى ، و مدافع تحصد الناس ، و سجون تلقى فيها الابرياء ، و كان مما فعله غيرازماني ، ان انشا (المحكمة الطائرة و هي محكمة عسكرية متنقلة تحكم بالشبه ، و تنفذ حكمها في حال على مرأى من الناس) و في سنة ١٩٢٨ اصدر الاوتشي مرسوما" يأمر بتوحيد برقة و طرابلس في ولاية واحدة و عين المارشال باد وليو حاكما عادا" عليها (١)

قاد حركة النظال ضد الاستعمار الايطالي سنة ١٩١١ و لم يتراجع في مواصلة الكفاح بعد انسحاب السنوسيين من ميادنه . حاصرته القوات الايطالية ١٩٢١ فلجا الى حرب العصابات و قام بشن الغارات . و احرز انتصارات باهرة فاوضه الايطاليون سنة ١٩٢٩ فابى التنازل عن مطالبه الوطنية وقع اسيرا" في قبضة قوات الاحتلال الايطالي فصدر الحكم باعدامه شنقا" يوم ١٥ ايلول /سبتمبر ١٩٣٢ (٢)

١- موسى مخول ، المصدر السابق ، ص١٣٢

٢- عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسة ، ، ج الرابع ، د . ت ، ص ٣٩



الايام الاخيرة من حياة عمر المختار
و وقوعه في الاسر ثم اعدامه

اولاً : النداء الاخير

خاطب السيد عمر المختار و المجاهدين و ابناء شعبه قائلاً فليعلم اذا كل مجاهد ، ان غرض الحكومة الايطالية انما بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شعبنا و تفكيك واحد اتحادنا ليتم لهم الغلبة علينا و اغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من خلال الهدنة ، و لكن عبد الله لم توقف الى شيء ، من ذالك و ليشهد العالم اجمع ان نوايانا نحو الحكومة الايطالية شريفة و ما مقاصدنا الا مطالبة بالحرية و ان مقاصد ايطاليا و اغراضها ترمي الى القضاء على كل حركة قومية تدعو الى نهوض الشعب الطرابلسي و تقدمه .... فهيهات ان يصل الطليان الى غرضهم ما دامت لنا قلوب تعرف ان في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغال ثم ختم المختار هذا النداء بقوله : (لهذا نحن غير مسؤولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ما هي عليه حتى يتوب اولئك الافراد النزاعون الى القضاء علينا الى رشدهم ويسلكوا السبيل القويم و يستعملوا معنا الصراحة بعد المداهنة و الخداع [١]

و قد نشرت بعض الصحف المصرية هذا النداء في ٢ يناير ١٩٢٩ م . من كان عبدا" لله يستحيل ان يرضي ان يكون عبدا" لحكومة تقابل ظالمة كافرة او لدينا او مال او هوى اما اكثر الناس احرارا" تحقيقا" للحرية على مفهومها الصحيح ذالك العبد الذي رضى بالله ربه و الاسلام دينا " و بمحمد نبيا" و رسولا" .

ثانيا ً : غدر و خيانة

لقد نقضت الحكومة عهودها و غدرت بالمجاهدين و كان السيد حسن الرضا اول من ذالك المرارة غدرهم فقد غدر المعسكر في غوط الجبل جماعة من عائلة عريقة و انتهز الطليان هذه الفرصة فطلبوا من الحسن ان يتقدم بالدور الى ناحيتهم مراوة و اجاب الحسن اغبتم و عندئذ سيرت الحكومة قوة كبيرة على الدور لجمع الاسلحة من اتباعه بدعوى ان رجاله قد (غزوا) بعض الاهلين في مراوة و ابدى الحسن و رجاله معارضه شديدة ، و لكن معارضتهم هذه سرعان ما اكدت للطليان . على حد قول هؤلاء ان الدور كان مركزيا و لدعاية سوسية خطيرة ، و على ذلك فقد اشتبكت القوات الايطالية مع الدور في قتال عنيف ذهب ضحيته كثير من المجاهدين

١- محمد فؤاد شكري ، السوسة دين و دولة ، مركز الدراسات الليبية ، ط١ ، ١٩٤٨ ، ص ٣٣

٢- محمد فؤاد شكري ، المصدر نفسه ، ص ٣٤

و وقع الباقون في اسر القوات و في يناير ١٩٣٠ قبض الطليان على الحسين نفسه و ساقوه الى اسيرا" الى بنغازي ثم ما لبثوا حتى نفوه الى جزيرة اوتيكا ثم الى ما لبثوا فلورنسه بعد ذلك و قد بقى الحسن منفيا" بهذه المدينة حتى وفاته ١٩٣٦ [١]

ثالثا: المحكمة الطائرة :

لم يمض على وصول غراسياني سوى ايام قلائل حتى انشاء ما عرف في تاريخ الاستعمار الايطالي الاسود بأسم المحكمة الطائرة (ابريل ١٩٣٠) كانت تلك المحكمة تقطع البلاد على متون الطائرات و تحكم الاهالي بالموت و مصادرة الاملاك لاقل شيء و تمنحها للمرتزقة الفاشيين و كانت تلك المحاكم تنعقد بصورة سريعة و تصدر احكامها و تنفذ في دقائق و بحضور المحكمة نفسها لتتأكد من التنفيذ قبل ان تغادر الموقع الذي انعقدت فيه لتنعقد في نفس اليوم في موقع اخر وفتحت ابواب السجون في كل مدينة و قرية في برقة و انتزعت الاموال من المسلمين بدون مبرر ، و نصبت اعواد المشانق في كل من العقيلة و وجدابية و بنغازي و سلوق و المرج وشحات و درنه ، وعين الغزالة ، و طبرق ، و لأتفه شيء و اقل فرية يصدر حكم الاعدام و ينفذ في حينه شنقا" او رميا" بالرصاص في مدة لا تزيد عن شهرين عن استلام غرياني مقاليد الحكم في برقة ، المشايخ بحج الصحي ، علي بويس العربي و ابنه عبد ربه بو موصاخ ، عبد الله هليل ، محمد يونس بو قدام ، علي حميد بو خضيرة ، اثنان من قبيلة سعيد اشقاء حمد الرقيق ، و هولاء من منطقة جدابية ، ثم محمد الحداد و ابنه بنغازي ، و عبد السلام محبوب من الاخوان السنويين سليمان سعيد العرفي (المرج) و خمسة عشر شخص بينهم الشيخ سعيد الرفادي (عين الغزالة و عنيد منهم) [٢]

رابعا" : عمر المختار يغير استراتيجية الحرب

كانت معسكرات المجاهدين قريبة من نواجع الاهالي حتى يسهل على المختار و صحبه اخذ الثغور و الحصول على الدخائر و الاسلحة و المؤن و لكن بعد حشر القبائل في المعتقلات الجماعية تغيرت خطة عمر المختار و طور اساليبه القتالية لما يتماشى مع المرحلة و اعتمد على عنصر المباغتة و ركن الى ما مفاجأة القوات الايطالية بعد كشفها و الاستطلاع عليها في اماكن متفرقة .

١- **فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص** ٣٤

٢- **الاشهب ، المصدر السابق ، ص** ١٢٧ – ١٢٨

٣- **محمود شلبي ، عمر المختار دار الحبل بيروت ، ١٩٨٢ ، ط٥ ، ص** ١٢٧ – ١٢٨

الايام الاخيرة من حياة عمر المختار ووقوعه في الاسر و اعدامه

هل يمثل البحث عن جهاد ليبيا ، بغير ذكر شيخ المجاهدين ، عمر المختار ، شيخ زاوية القصور في الجبل الاخضر ، وزعيم الحركة الثورية في برقة لمدة عشرين عام تقريباً اخبر الشيخ باحتلال الطليان لبرقة ، اذ كان راجعاً من الكرنة في زيارة مشايخة السنوسيين فيها فأسرع الى الجبل الاخضر حتى قتل ، و كان رجلاً نشيطاً مؤمناً ، عجيب الايمان و الشجاعة و التضحية و الصبر قاد كتائب المجاهدين في الجبل الاخضر في الصحراء عشرين عاماَ لم يغتر عن قتالهم الا ليستجمع و ليستعد لقتال جديد و كانت طاعته لسيد المهدي و للسيد احمد الشريف بعده مضرب المثل لم يخالفه كما يقولون . الا مرة واحدة حينما خاف ادريس عليه ضغط الطليان فكتب اليه من مصر ان ينسحب و يأتيه و يستريح من قتال لا نهاية له و معارك ظاهرة فشلها . فاجابه عمر المختار بالحرف الواحد (لن ابرح الجبل الاخضر مدة حياتي و لن يستريح الطليان فيه ،حتى يواروا لحمي التراب) فأذا كانت هذه المخالفة الوحيدة فما انبلها من مخالفة انها الطوعية التامة و الاخلاص الكامل [١]

قال السيد ادريس عنه بالحرف الواحد (اني عرفت عمر المختار رحمه الله عمري في السنة السابعة ، و هو مع والدي و الذي ضمن الاخوان فكان المثل الاعلى في الشجاعة و الكرم و التقوى و النشاط و قد لازمني كل الملازمة مدة بقائي في برقة و كانت لا تقل عن سبع سنوات متواليات ، سواء أ كان في سفر او حضر ، مارا" فيه في احد الايام من الايام متكاملا" عن واجبه ، و لا شاكيا" من جوع و لا عطش و لا تعب و لا يائسا" من خير و لا جازعا" من شر . كان محبا" للخير كارها" للشر اغلب اوقاته تلاوة القران . و كانت المحبة بين و بين والدي موروثة فيما بين و بينه رحمه الله و قد حزنت عليه حزنا" لم احزنه على احد من قبل ولكن لا يسعني ان اقول الا كما يقول الصابرون (انا لله و انا اليه راجعون) [٢]

١- ممدوح ...... ، ليبيا العربية ، الطبعة الاولى حزيران ١٩٦٢ ، ص ٧٤

٢- المصدر نفسه ص ٧٥

و اشيع عنه ، لما قتل ان الطليان القوه من الطائرة فتمزق جسده حين اصطدم بالارض انتقاما" من حركته و مقاومته التي ارهقتهم عشرين عاما" ثم ظهرت الحقيقة بعد ذلك و هي ان حصانه جرح في معركة قرب قرية (سلطنة) بالجبل الاخضر فوقع على الارض متوعكا" لم يستطيع النهوض بسهولة ، و هو شيخ قد تجاوز الثمانين ، و راه رجل ليبي تحت شجرة ، يستجم ، فعرفه و قبض عليه و سلمه للطليان على الفور ١١ ستنمبر ١٩٣١ فنقلوه عن طريق مرسى و حوكم علنا" محاكمة لم تستمر الا ساعات اقر فيها بخروجه على سلطاتهم تابعا" اوامر دينه كما امر ببعض من حاكمهم و قتلهم لتجسسهم على حركاته و حكم عليه بالقتل و علقت مشنقته في قرية (سلوق) على اربعين من بنغازي في الصحراء يوم ١٦ سبتمبر ١٩٣١ و حشدوا لمنظر شنقه ، كبراء ليبيا و زعمائها و مشايخها و شبانها ليروا بأعينهم جثة المجاهد الذي رفعوه الى مصاف الالهة يتأرجح مع الريح ملعقا" في رقبته مهاناً و قامت في سوريا مظاهرات صاخبة ضد الاستعمار الايطالي الطلياني قتل فيها عدد من الشبان و هم يهتفون ليسقط موسوليني ليسقط الاستعمار و لتحيا ذكرى المجاهد عمر المختار (١)

و اقيمت صلوات الغائب عليه في كل البلاد الاسلامية و اطلق اسمه على مدارس و شوارع في سوريا و العراق ، ثم في ليبيا بعد ذلك و تأسست اكبر جمعية ليبية في دمشق با اسم المختار كذلك اكبر جمعية وطنية في ليبيا و مازالت شهرته تعلو و نجم ذكره يزداد سطوعا" . غير ان محاكمته لم تدم الا ساعات قلائل و شنقه بهذه الصفة ، و التشنيع عليه و هو في هذه السن من الوقار ثم ما اشاعه عنه مجاهدوا ليبيا في دمشق من انه قذف من الطائرة و اتخاذ الجمعيات الليبية هذه الواقعة نقطة استناد للتشييع على الوقاحة الطليانيه و دعاية ضده . و من يدخل بنغازي من جهة الشرق ، فلينعطف قليلا" الى اليسار قبل مدخل المدينة ليزور مقبرتهما و على بعد ثلاثين مترا" من بابها . الى الجنب الغربي ، قبر متواضع بسيط جدا" كتب عليه بخط بنصف جميل (رمز البطولة و شهيد الوطنية ، المجاهد عمر المختار جمادى ١٣٥٠ ، ١٦ سبتمبر ١٩٣١ (٢)

١- ممدوح حقي، المصدر السابق ، ص ٧٦
٢- المصدر نفسه ، ص ٧٨

المختار في الاسر

في معركة السانية في شهر اكتوبر ١٩٣١ سقطت من الشيخ نظارته و عندما وجدها احد الجنود الطليان و اوصلها الى القيادة فراها غرتياني وقال (الان اصبحت لدينا النظارة و سيتبعها الراس يوما ما) [١]

في ١١ سبتمبر ١٩٣٠ توجه عمر المختار بصحبة عدد قليل من رفاقه دربه لزيارة الصحابي الجليل رويضع بن ثابت بمدينة البيضاء فكان ان شاهدهم وحدة استطلاع ايطالية و ابرقى الى قيادة الجبل بالاسلكي فحركت فصائل الليبين و الاريتريين لمطاردتهم و اثر اشتباك في احد الوديان قرى عين اللمفو جرح حصان عمر المختار فسقط على الارض و تعرف عليه احد الجنود المرتزقة الليبيين يقول المجاهد عبد الجليل المنفي الذي كان شاهدا" على اللحظة التي اسر فيها عمر المختار (٢) من قبل الجيش الايطالي (كنا غرب منطقة سلطة هاجمنا الاعداء الخيالة وقتل حصان سيدي عمر المختار فقدم الى اخيه المجاهد حمد محمد المختار حصانه حصانه و عندما هم بركوبه قتل ايضا" و هج الاعداء عليه (٣)

١- الزاوي ، المصدر السابق ، ص٢٠٥

٢- محمد الطيب بن ادريس ، المصدر السابق ص ٧٩

٣- علي العلابي ، المصدر السابق ص ٧٩

و رآه احد المجندين العرب و هو مجاهد سابق له دورة في العماله نهل اختلط عليه الامر فعز عليه ان فقال (سيدي عمر سيدي عمر) فوقه الاعداء فقبضوا عليه ورد عمر المختار على العميل العربي الذي ذكر اسمه عبد الله بقوله (عطك الشر و بليك بالذر) [١] .

نقلت البرقية من موريتي الى كل من وزير المستعمرات (دي بوتر) و والي ليبيا بادوليرو الجنرال غراتياني جاء فيها (تم القبض على عمر المختار في عملية تطويق البوادي بو طاقة جنوب البيضاء و قد حصل مساء الامس الى سوسة الكومنت اتور دود يانش الذي تعرف عليه وجده هادئ البال و مطمئنا" لمصيره الخسائر التي تكبدها المتمردون (١٤ قتيلا") [٢] .

و تم استدعاء احد القادة الطليان متصرف الجبل الاخضر دودياتش الذي ان سبق فاوض عمر المختار للتثبت من هوية الايسر نقل عمر المختار الى مبنى بلدية السوسة و من هناك على ظهر طراد بحري السجن بنغازي كان لاعتقاله في صفوف العدو دورا" كبيرا" حتى ان غراتتياني لم يصدق ذلك في بادئ الامر و كان غراتياني في روما في طريقه الى باريس للراحة تهربا" من الساحة لفشله في القضاء على المجاهدين في الجبل الاخضر [٣]

و قد تلقى برقية من مستعجلة من بنغازي مفادها ان عدوه اللدود وراء القضبان فقرر الغاء الاجازة و التوجه الى بنغازي [٤]

١- امين سعيد ، ثورات العرب في القرن العشرين ، ط ٣ ، مطبعة النور (مصر ، .... ، ص١٥٩)
٢- احمد عبد الله العزيزي ، المصدر السابق ، ص ٥٦
٣- نجيب زبيب ، المصدر السابق ، ص٧٣
٤- عبد الكريم محمود غرايبه ، دراسات في تاريخ افريقيا العربية ، (١٩١٨ ، ١٩٥٨) مطبعة الحكماء ، (دمشق ، ١٩٦٠) ، ص١٦٠

المحاكمة

وقد عقدت هذه المحكمة في القاعة الكبرى في مركز ادارة الحرب و هي دار مجلس النواب السابق في بنغازي ويسمى (الليتوريو) و عند الاسعة الخامسة و الدقيقة العاشرة جيء بالسيد عمر المختار و في الساعة الخمسة و الربع دخلت هيئة المحكمة و كانت مؤلفة من الكولونيل ماريني رئيسا" و الاعضاء هم : فرنسشيكو رومانو المجاو ، دليتيلا السنيور منوليا ، السنيور ماتروني . السنيور دي كريستو فروكامينا (١)

و في صباح اليوم التالي للمحاكمة المصادف الاربعاء ١٦ سمتمبر ١٩٣١ اتخذت جميع التدابير اللازمة بمركز سلوق لتنفيذ الحكم بأحضار جميع اقسام الجيش و المليشيا و الطيران (٢٠) الف من الاهالي و جميع المعتقلين السياسيين من اماكن مختلفة لمشاهدة تنفيذ حكم الاعدام في قائدهم و احضر الشيخ عمر مكبل الاسدي و على وجهه ابتسامة الرضا بالقضاء و لقد بدأت الطائرات المقاتلة تحلق في السماء فوق المعتقلين بأزيز مجلجل حتى لا يتمكن عمر المختار من مخاطبتهم (٢)

وفي تمام الساعة التاسعة صباحا" سلم الشيخ الى الجلاد و كان وجهه متهلل استبشارا بالشهادة و كله ثبأت و هدوء موضع حبل المشنقة في عنقه و قيل بعض الناس الذين كانوا على مقربه منه انه كان يأذن بصوت خافت اذان الصلاة و البعض قال انه تمتم بالاية الكريمة بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ((يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية)) صدق الله العظيم ليجعلها مسك ختام حياته البطولية سبق اعدام المختار صدرت اوامر شديدة الحزم بتنفيذ و ضرب كل من يبدي الحزن او يبكي عند تنفيذ الحكم (٣)

١- بثينة التكريتي ، تطر الحركية الوطنية في ليبيا ١٩١١ -١٩٤٢ ، معهد الدراسات القومية و الاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ١٩٨١ ، ص ٧٠

٢- نجيب زبيب ، المصدر السابق ، ص ٧٩

٣- التكريتي ، المصدر السابق ص ١٠٣

لكن اصوات الاحتجاج و لم تكبحها سياط الطليان فصرفت الى دوراها العبادية .وندبت فجيعة الوطن عندا علا الشيخ شامخا" مشنوقا" و وصفها الطليان (بالمرأة التي كسرت جدار الصمت) المفارقة التاريخية التي اذهلت التاريخ المراقبين فقد حدث في سمتمبر (٢٨) عندما انحنى رئيس الوزراء الايطالي برلسكوني امام ابن عمر المختار متعذرا عن المرحلة الاستعمارية و ما سببته ايطاليا عن ماسي للشعب الليبي و هي الصورة التي قورنت بصورة تاريخية اخرى يظهر فيها عمر المختار مكبلا" بغلاله قبل اعدامه [١]

حصد عمر المختار اعجاب و تعاطف الكثير اثناء حياته و اشخاص اكثر بعداعدامه فاخبار الشيخ الطاعن في السن و الذي يقاتل في سبيل بلاده ودينة استقطبت انتباه الكثير من المسلمين و العرب الذين كانوا يعانون من الاستعمار الاوربي في حينها وحث المقاومين على التحرك [٢]

و بعد وفاته حصدت صورته و هو معلق على حبل المشنقة تعاطف اشخاص كثر من العالمين الشرقي و الغربي على حد سواء فكبر عمر المختار في اذهان الناس و اصبح بطلا" شهيدا" رثا عدد من الشعراء المختار بعد اعدامه و ظهرت شخصيته في فيلم و فيه جسد الممثل المكسيكي _ الامريكي (نطوني كوين) دور عمر المختار [٣]

١- ناهية قدورة ، تاريخ العرب ، ط١ ، درار النهضة للطباعة و النشر

(بيروت ، ١٩٥٧) ص٢٤٠٠

٢- طاهر احمد الزاولي ، المصدر السابق ، ص٢٤٠٠

٣- ناهية قدورة ، المصدر السابق ، ص٤٤

الخاتمة

لقد كانت حياة عمر المختار شيخ المجاهدين في الجبل الأخضر بليبيا مكرسة كلها للعلم والدعوة وتربية الناس على الإسلام والجهاد في سبيل الله وكان من رواد الحركة السنوسية فقضى حياته حين نادى منادي الجهاد معتلياً صهوة جواده ممسكاً سلاحه، لم يهادن ولم يستسلم بل قارع أعداء دينه مقارعة الند للند رغم قلة الإمكانات ورغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ولكنه استعلاء الإيمان وقوة اليقين، الذي ازداد صلابة وعمقاً في ميادين الجهاد وساحات المعارك، إن جهاد عمر المختار رحمه الله سيظل معلماً بارزاً في تاريخ ليبيا خاصة وتاريخ الأمة الإسلامية عامة وسيظل دليلاً على أن الإسلام صنع ولايزال نماذج عظيمة من البطولات على مر العصور وعلى أن العطاء الحقيقي إنما هو عطاء الإيمان( ). إن الشيخ الجليل عمر المختار رحمه الله مدرسة تستحق الدراسة والبحث في جوانب متعددة في شخصيته العلمية والدعوية والتربوية والجهادية ويعلم الله ما أعطيت الشيخ حقه ولا حتى بعض حقه وأحس إحساساً عميقاً صادقاً في قرارة نفسي إنه أعظم مما كتبت وأجل مما توهمت وأفضل من عايشت من سيرة أبطال الجهاد في ليبيا الحبيبة فعليه من الله الرحمة والمغفرة والرضوان وعلى إخوانه الميامين الكرام ونفعنا الله بسيرته الزكية العطرة النقية.

المصادر والمراجع

١- احمد عبد الله العزيزي ، عمر المختار قصة كفاح شعب ، مركز الراية للنشر ، دمشق ، ١٩٨٠ .

٢- احمد عطية عبد الله ، ، القاموس السياسي ، د . ن ،

٣- امين سعد ، ثورات العرب في القرن العشرين ، ط٣ ، مطيعة النور (مصر ١٩٥٦)

٤- بثينة التكريتي ، تطور الحركات الوطنية في ليبيا ١٩١١ – ١٩٤٢ مركز الدراسات القومية و الاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ١٩٨١

٥- زاهية قدورة ، تاريخ العرب ، ط١ ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر (بيروت ١٩٧٥)

٦- الطاهر احمد الزاوي ، عمر المختار الحلقة الاسيرة من الجهاد الوطني في ليبيا ، دار الاسلام ، بيروت ١٩٦٥

٧- عبد الكريم محمود غرامة ، دراسات في تاريخ افريقيا العربية (١٩١٨ ، ١٩٢٨) مطبعة الحكماء ، (دمشق ١٩٦٠)

٨- عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ج٤ ، د. ن

٩- علي العلاني ، الشيخ الجليل عمر المختار ، (نشأته ، اعماله ، استشهاده) ، ط٢ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٩٦٧

١٠- محمد الطيب بن ادريس الاشهب ، عمر المختار ، ١٩٥٨ ، القاهرة

١١- محمد فؤاد شكري ، السنوسية بين الدين و دولة ، مركز الدراسات الليبية ، ط١ ، ١٩٤٨

١٢- محمود شلبي ، حياة عمر المختار ، دار الجبل بيروت ، ١٩٨٢

١٣- ممدوح فهمي ، ليبيا العربية ، ط١، حزيران ١٩٦٢

١٤- موسى محمد ال طوريش ، العالم المعاصر بين حربين ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠١٧

١٥- موسى مخول ، موسوعة الحروب و الازمات الاقليمية في القرن العشرين ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، د . ن

١٦- نجيب زبيب ، تراحم العظماء ، دار الابداع الطباعة ، بيروت ، ١٩٩٠